# قصائد عصرية

حامد طاهر

# قصائد عصرية

# هذه القصائد ..

**مع نهاية الأربعينيات ..**
لم يكن فى القاهرة من منتجات الحضارة الحديثة سوى القليل
من ( الأشياء ) و ( وسائل المواصلات ) و ( أدوات
الترفيه ) .

••

وكانت الحياة تمضى بطيئة ، وأحيانا صعبة ،
ولكنها أقل إزعاجا ، وربما أكثر سعادة !

••

معالم كثيرة كانت مرتبطة بهذه الحياة اختفت ،
وحلّت محلها معالم أخرى : أكثر عددا ، وأشد تعقيدا

••

فى أسرتنا مثلا :

كنا نشترى الدقيق ، ونعجنه ، ثم نذهب به إلى الفرن البلدى لنخبزه .

وقد اختفى الآن كل من بائع الدقيق ، والفرن البلدى !

••

وكان الصابون هو الوسيلة الوحيدة لغسيل الأجسام ، والملابس ، والأوانى النحاسية ، وهذه كانت تحتاج إلى إرسالها من وقت لآخر إلى ( مبيّض النحاس ) ، الذى أعتقد أنه اختفى الآن تماما !

••

وكان أبى ، عليه رحمة الله ، يرتدى على رأسه الطربوش ، وهذا يتطلب تنظيفاً وكيّاً على فترات .. ولهذا الغرض محل شهير فى ( شارع الغورية ) ، أظن أنه هو الآخر لم يعد له وجود !

••

وفى ميدان الحسين ، كنت أشاهد - وأركب أحيانًا - عربات لنقل الناس تجرّها الخيول ، ويمتلكها خواجة اسمه ( سَوَارِسْ ) .. وقد اختفت تماماً من القاهرة ، ولم تعد تظهر إلا فى أفلام رعاة البقر الأمريكية !

••

أما الترام ، فكانت رؤيته عجبا ، والجلوس فيه متعة . وهو بالنسبة لنا : يبدأ من أمام الأزهر الشريف ، منساباً ببطء شديد إلى ميدان العتبة الخضراء ، ومستديراً إلى شارع كلوت بك ، ومنه إلى باب الحديد ، حيث القطارات ، والسفر ، ووجه بحرى ، والصعيد ..

••

وكان مرور سيارة من طراز تلك الأيام - وهى غالبًا سوداء اللون ، ولا يُرى من بداخلها - يثير فى نفوسنا ، نحن الأطفال ، الكثير من الدهشة والاستغراب !

••

وبالطبع كانت الجرائد موجودة . ولكنها عادةً من شأن الكبار ، الذين يهتمّون وحدهم بالسياسة ، ويتناقشون فيها !

••

وكان الراديو الكهربائى ، الكبير الحجم ، يوحى فى المنزل بقدر من الأصالة ، ويدل على أن أهله مستورون ..
أما برامجه ، فكانت قليلة ، ولكنها متميزة :
فى الصباح الباكر ، تصحو القاهرة على القرآن الكريم بصوت مصطفى إسماعيل ، أو الصيفى ، أو عبد الحكم ، أو الدمنهورى ..
وأحاديث الصباح الدينية : واضحة ، ومحدّدة ، وتدعو إلى التفاؤل ، يلقيها محمد دراز ، أو إبراهيم سلامة ، أو محمود شلتوت ..
وتمرينات الصباح الرياضية تشيع فى النفس مزيداً من الحيوية والنشاط ..
أما أغنية :
يا صباح الخير يا للى معانا      ده الكروان غنّى وصحّانا
فقد كانت علامة مميزة على طابع ذلك الزمن السعيد !
●●

وبالنسبة لنا ، نحن الأطفال ، كان برنامج ( بابا شارو ) زاداً حقيقياً ، ننتظره بشوق ، ونودّعه بأسف !

أما يوم الخميس الأول من كل شهر ، فكان هو موعد الأسرة كلها حول الراديو مع حفل أم كلثوم الساهر ، الذى كان يضفى عليه مزيداً من المهابة : حضورُ الملك شخصياً !

••

وبالطبع كانت هناك بعض دور السينما الشهيرة .. ولم نكن ، نحن الصغار ، بأهلٍ لارتيادها . وإنما كنا نسمع فقط أنها من حق شاب يمتلك المال والفراغ ، أو خطيبيْن على وشك الزواج !

••

وقد يكون الأسانسير موجودا .. ولكنني شخصياً لم أره إلا عندما ترك الخواجات عماراتهم التي تستخدمه ، وتحولت شققهم الواسعة فى وسط القاهرة إلى عيادات لكبار الأطباء ، ثم اضطرتنا الظروف أحياناً إلى أن نصعد فيه ، عن طريق بواب نوبى ، كان هو وحده الذى يعرف كيفية تشغيله !

••

أما ( المنياتيفون ) ، وهو جهاز الاسطوانات الذى يدار باليد ، فقد كان هو الآخر مصدر تسلية للأسرة ، ولكنها تسلية جماعية فقط .. فلا يمكن لفرد واحد أن يستمتع به ، لأنه يحتاج إلى مَنْ يظل يديره بيده ، وكثيراً ما كنا نجرى القرعة فيما بيننا على مَنْ يقع عليه عبء هذا العمل المرهق !

••

ومازلت أذكر اليوم الذى عاد فيه أخى الأكبر بصفقة ، اعتبرها معظم أفراد الأسرة كسْباً كبيراً ، وهى عبارة عن حوالى مائة اسطوانة قديمة ، بعضها صحيح ، وبعضها مشروخ ، لأغانٍ ، واسكتشات ، وتواشيح .. وأكّد لنا أنه اشتراها كلها بجنيه واحد .. وقد رحنا نكتشف – ونحن نقلب فى تلك الصفقة – أصوات منيرة المهدية ، وصالح عبد الحى ، وألحان كامل الخُلَعى ، وسيد درويش !

••

ويوم آخر .. مازلت أذكر تفاصيله :

عاد أبى مندهشاً للغاية من رؤية جهاز حديث ، يعيد إذاعة الصوت كما هو .. ورغم أنه أكد لنا أن البائع قد أطلعه على التجربة ( تجربة سماع صوته بعد حديثه معه ) إلا أنه ظل غير مقتنع تماماً بما حدث .. وربما لأول مرة ، يقابَل أبى من أمى وإخوتى الكبار بعدم تصديق ما يحكيه لهم ، عن مشاهداته خارج البيت !

••

فى هذا كله .. لم تكن أسرتى متفردة .
وإنما مثلها مثل آلاف الأسر المصرية فى القاهرة ، التى لم تدخل التلفزيون والثلاجة والبوتاجاز ، ولم تستخدم الأباجورة والجرس الموسيقى إلا فى أواخر الستينيات من هذا القرن !

••

وإذا كان الإنسان ابن أسرته أولا ..
ثم ابن الحارة ، والحىّ ، والمدينة بعد ذلك ،
فإن التطور السريع الذى شمل تفشّى منتجات الحضارة الحديثة فى بلادنا قد قلب فى النفوس كثيراً من التصورات ، كما أنه كسر عدداً لا يستهان به من العادات والتقاليد ..

**فمثلاً :**

تناول الطعام بالشوكة والسكين تطلّب منى ، بعدما كبرت ، أن أتسلل وحدى إلى أحد مطاعم باب اللوق ، وأجلس فى ركن منفرد ، محاولاً عشرات المرات استخدامهما على نحوٍ يبدو عفوياً !

ودخول فندق الهيلتون بالقاهرة كان مستحيلاً بدون خبرة أستاذى وصديقى د. الطاهر مكى ، الذى علمنى كيف أختار المكان المناسب ، والطلب المناسب ، وأتحدث إلى الجرسونة بالطريقة المناسبة !

أما الطائرة .. فلم يكن يتصور فتىً عاش بين حيّ الحسين ، وحى الدرب الأحمر أن يركبها .. وإذا ركبها فإلى أين ؟!
لكنّ فرصةً سنحت جعلتنى أستقل الطائرة مباشرة إلى باريس ، وأذكر أننى وصلتها فى أعياد الميلاد سنة ١٩٧٤ ، ولكى يُطلعنا قائدها على منظر باريس فى الليل المتلألىء ، مال بنا عدة مرات ، ونحن فى حالة بين الموت من الخوف ، والانبهار .. لكى نرى مشهداً لا يمكن وصفه ، ولا حتى تصويره ..

وفى فرنسا .. عشت الحياة العصرية بألوانها الزاهية على مدى سبع سنوات :
شاهدت المعارض ، والمتاحف ، والمسارح ، ودور السينما ، وجلست فى المقاهى الشعبية ، والكلاسيكية ،
ونعمت بدفء المكتبات العامة ، وروعة الحدائق العريقة ، ودعيت إلى بعض الحفلات الدبلوماسية ،
ولم يكن تصرّفى ، فى هذا كله ، خارجاً عن المألوف !
وهكذا يمكن القول بأن ظروفاً معينة قد وضعتنى فى قلب العصر الحاضر ، وجعلتنى واحداً من أبنائه .

لكننى لا أدرى :

ما الذى يجعلنى عندما أمارس منتجات هذا العصر – وقد جهدت كثيراً مثل معظم الناس فى الحصول عليها – لا أشعر بالسعادة التى كنت أتوقعها ؟!

••

إن منتجات القرن العشرين ، فى نظرى ، ليست سوى مجموعة من الأشياء ، سهّلت بدون شك بعض مصاعب الحياة ، ومجموعة من العلاقات ، نظّمت ، إلى حد ما ، حركة الحياة اليومية .. ولكنّها أيضا مجموعة من الأساطير الجديدة ، التى حلّت – بكل عنف – محلّ الأساطير القديمة !!

••

وطالما تساءلت :

هل استطاعت منتجات القرن العشرين أن تغيرّ للأفضل شيئاً من طبيعة الإنسان ؟

مع طلائع أدبنا العربى الحديث ، تنبه المويلحى ، رحمه الله ، لصدمة المستجدات الحديثة على الإنسان فى بلادنا ، فكتب عمله الرائد « حديث عيسى بن هشام » ..

وعبّر عنها جزئياً توفيق الحكيم فى رائعته « عودة الروح » ..

وسجلها بأناقة بالغة يحيى حقى فى عمله الفذ « قنديل أم هاشم » ..

وأفاض فيها باقتدار مشهود له نجيب محفوظ فى « الثلاثية » ..

••

إن أعلام الرواية العربية كانوا بدون شك أشد إحساساً بتلك الصدمة التى أحدثها الدخول الساحق للحضارة الحديثة فى بلادنا ، على حين ظل أعلام الشعر من أمثال البارودى ، وشوقى ، وحافظ .. وحتى العقاد منهوكين فى الصراع مع القالب الفنى ، حتى إذا حسبوا فى النهاية أنهم انتهوا منه ، كانت قواهم قد خارت ، فلم يفعلوا شيئاً مع المضمون ..

••

وفى رأيى الخاص : أن روّاد الشعر الحديث من أمثال السيّاب ، ونازك الملائكة ، وأدونيس ، وصلاح عبد الصبور .. قد وقعوا أيضاً فى نفس المأزق .. فقد استغرقهم الصراع مع القالب ، وراحوا يبذلون محاولات مستميتة من أجل الخروج عن المألوف ، وكسْر التعوّد الموسيقى الذى أسكر الأذن العربية ما يقرب من ألفىْ عام .. وقد نجد لديهم بعض الاستنكار والإدانة .. ولكن ذلك ضائع فى رؤية غائمة ، ويأسٍ متأصّل ، وألمٍ من وَجَعٍ غير معروف !

••

أليس عجيباً أننى أتحدث من منصة الشعر .. بينما تعاطفى هناك .. مع كتّاب الرواية ؟!

••

الواقع أنهم هم الذين نفذوا إلى الجوهر من بين تعاريج الشكل ، رغم أنه كان جديداً عليهم .

وهم الذين عبّروا عن الثابت ، وسط تلاحق المتغيرات ، رغم أنهم كانوا محرومين من وجود فلسفة عربية تكشف لهم حدود الثبات والتغير .

وهم الذين استطاعوا أخيراً أن يسجّلوا ، بوعى كامل ، تلك اللحظات الفارقة فى حياة الإنسان فى بلادنا .. وهو يودّع عصراً ، ويستقبل عصراً آخر .

••

لقد كان أوْلى بالشعر أن يرصد هذه اللحظات !

فهو الأقدر على أن يمسك – فى لغته المكثفة – تلك اللحظات السيّالة ، والمواقف السريعة الحركة ، التى قد تنتقل من الضد إلى الضد فى لمح البصر ..

ومن العجيب أنها تظل فى كلا الحالين متناسقة مع نفسها !

••

وهذا ما كنت أحاوله فى قصائدى التى نشرتها فى ديوانى السابق ، الذى صدر سنة ١٩٨٤ .

••

وهو نفسه – وربما بصورةٍ أكثر قصداً – ما أقدّمه اليوم من خلال هذا الديوان الجديد ، الذى يحمل عنوان « قصائد عصرية »

••

وهنا اعتذار لابد منه :

فقد كنت ظننت أننى بنشر ديوانى السابق ، الذى أطلقت عليه « ديوان حامد طاهر » ، قد توقفت تماماً عن كتابة الشعر ، وخاصة بعد أن استغرقنى العمل الجامعى بحثاً وتدريساً ، سواء فى جامعة القاهرة ، أو فى جامعة قطر ..

••

ولكننى فجأة .. وجدتنى أعاود كتابة الشعر من جديد ، وأسترسل فى مجموعة من القصائد ، تدور كلها فى فلك واحد ..

وأعترف بأن هذه إحدى أعاجيب الشعر :

يهجرنا متى شاء ..

ويعاودنا متى أراد ..

••

ماذا أريد أن أقول فى هذا الديوان ؟
شيء بسيط :
هو أن السعادة تنبع من داخل النفس ،
وليس من امتلاك الأشياء ، أو ممارستها .

••

وقد خرجت علينا حضارة القرن العشرين بأشياء كثيرة ، نتسابق جميعاً – فى عنف بالغ ، وأحياناً بوحشية – من أجل امتلاكها ، واستخدامها ، وتكديسها فى بيوتنا .. ظانّين أننا بذلك نحقق لأنفسنا ما تسعى إليه من راحة ، وهدوء بال !

••

غير أننا ننسى – ونحن فى قسوة هذا الصراع اليومى الدائر – أننا نبتعد كثيراً عن أنفسنا ، وعن الناس ، وعن الطبيعة ..
ثم لا نكتشف إلا فى اللحظة الأخيرة : أن جهدنا كان عبثاً ، وأن المحطة التى وصلنا إليها .. لم تكن هى المقصودة من الرحلة !

••

فلتكنْ إذن لحظةُ صدق ..
نتوقف عندها قليلا ..
لنختبر مشاعرنا ،
ونتحقق .. من مواقع أقدامنا .

يولية ١٩٨٩ | حامد طاهر

# الجريدة

أخشى من الإدمان ،
لكنى أمارسهْ
كل صباحٍ .. عندما يمرّ بائع الجرائدْ
فألتقيه جائعاً .. مبتسماً
كأنما أؤانسُهْ !

أُسلمه النقود ،
كى يُسلمنى الجريدةْ
ولا أُضيع لحظةً ، فأنحنى ..
مفتشاً عن خبرٍ أفتقدُهْ
أقرأُ كل الأعمدةْ
من اليمين للشمالْ
من الشمال لليمينْ
لكننى .. لا أجدُهْ !

وكالة الأنباءْ
تحمل من شئون الكونِ ،
والفضاءْ
ما يملأ الفؤاد رعبا !

ويعكُف المحلّلونْ
على قضايا الفقر والديونْ
يناقشون ..
سياسة الرغيف ، وانطلاقة الدولارْ
لكنهم ينتظرون
مجاعةً فى آخر القرن ..
تحوّل المسارْ !

وفى اجتماع قمّة المصالحةْ
ينقسم العالم قطعتينْ
غارقةً ، وسابحةْ
ولا نرى لأين .. ؟

لكنما يدفعنى حقيقةً إلى التفكيرْ
أن هناك مَنْ يريد لاسمه التغيير
من ( حَنَفى ) إلى ( سميرْ ) !

••

وأنّ ( ست الدارْ )
قد فقدتْ أختامها بجانب الحُسيْن !

••

وأنّ أولاد الحلالْ
لو أرجعوا لأمها صغيرةً ..
تغيّبت من ليلتيْن !

وفى رحاب صفحة الأموات ،
ما أشدّ قسوةَ المفارقةْ !
الناس يُعلنون عن فقيدهم ..
بأنه « كانَ .. وكانْ »
وأنهم أيضا من الأعيانْ !
مناصبٌ .. وأوسمةْ
وعزوةٌ مقسّمةْ
وكلما طال عمود النعى ، أو تعدّدا
تخيّل الجميع أن ذلك الميت ..
يستحق مسجدا !!

وفى ختام الصفحة الأخيرة
حيث حكايا الفن دائماً مثيرة
تكون غالباً هناك صورةٌ ..
لامرأةٍ مبتسمةْ
ذات بهاء ، وألَق
كأنها تقول لكْ :
« لا شيء يستحق أن يكدّركْ .. »
« لا شيء يستحق أن يكدّركْ .. »

# الراديو

يظلّ المغنّى يغنّى ..
ولا تنتهى الأغنيةْ
أقلّب كل المحطاتِ ..
بحثاً عن ( النشرة ) التاليةْ
عواءٌ ..
وشبهُ فحيحٍ ..
وصفارة نابيةْ !

وها هو صوت المذيع أخيراً
بنبرته الآمرةْ
( وزيرٌ يصرّحُ ..
طقسٌ يسوء ..
مظاهرةٌ هادرةْ )

( جرادٌ يجيء من الشرق ،
مختطفون .. بطائرة حائرةْ )

••

( وفى القطب حوتٌ يعانى الصقيع ..
وفاز فريقٌ ..
وغاصت بركّابها باخرةْ ! )

ويأتى ( المعلّق ) ..
يتلو حديثاً ،
عديم المعانى ، طويل الجُمَلْ
يجدّف فى الريح خلف الغمام ،
ويهطع فى الرمل ..
مثل الإبلْ !

ويعلن ( مارش ) الختامِ السلامَ
السلام !
فأرجع ..
لم ألقَ ما كنتُ عنه أفتّشُ ..
لم ألق .. ما يشبع اللهفة الحائرةْ !

# التلفزيون

وضعتُك فى الركنِ ..
ما كنتُ أعلم أنك تصبح صدر المكان ،
ووحش المكان ،
وقاتلنا المنتَظرْ !

ونحن الذين نضيئكُ ..
من زيت أعمارنا
أنت آمرنا المستبدُّ
نظلّ أمامك ..
أسرى التصاوير ،
أسرى الحكايات ،
أسرى السهرْ !

وأعجب ..
كيف احتويت القلوب ،
وصرت تحركها كيف شئتَ ..
حنيناً ،
وحقداً ،
وخوفاً ،
وأمنيةً تنكسرْ !

نسافر فيك المسافات ،
نطوى السنين ،
نشاهد ما لم يدرْ بالخيال ،
نكادُ نمسّ الحقيقةَ ..
فى أفقها المستعزْ !

ولكننا عندما نُطفئك
نعود ضعافاً .. حيارى
كأنّا سكارى !
يغالبنا النومُ ..
نُلقى بأجسادنا للفراشِ ،
نراود أحلامنا أن تعودَ ،
وأنّى تعود العصافير للعش ..
بعد احتراق الشجرْ !

# السيّارة

فى أيام الصيف
الجاحدةِ ببعض النسماتْ
كنّا نمشى فى اليوم الواحد ..
آلاف الخطواتْ !

كنّا نخرج من أحياء القاهرة الضيقةِ
إلى ( كورنيش ) النيل ،
ونجلس فى أحد الأركان المنعزلةْ
تحت الأشجار الباسقةِ ،
وبين حفيف الأغصان المنسدلاتْ .

كنّا نتحدث عن آلاف الأشياءِ ،
ونضحكُ ..
نضحكُ من قلبيْن امتزجا بالحبّ ،
وفاضا بالأمنيّاتْ !

وتمرّ علينا بائعة الترمس ،
ندعوها ..
تمنحنا أحلى الدعواتْ !

وكثيراً ما كنّا نتسلّى بمتابعة السيّاراتْ
نتخيّر منها ما يعجبنا ..
نسخر مما لا يعجبنا ..
ماذا يمنعنا ؟!
معنا الأحلامُ ..
وما أكثرها فى قلبيْن امتزجا بالحبّ ،
وفاضا بالأمنيّاتْ !

وتقولين :
- ألا تلحظ أن المرأة فى السيارة
لا تضحك أبدا ؟!
كنا نؤمن أن الحبّ هو الثروة ،
أنّ المال قرين البؤس ،
وأن بريق الأشياء .. يزول مع السنوات !

وتتابعت الأيام ..
قفزنا من أرصفة الشارع ،
صرنا من أصحاب السياراتْ
أصبحنا لا نذهب فى أيام الصيف ،
إلى ( كورنيش ) النيل ،
ولا نبتاع الترمس ،
صرنا نجلس فى التكييف ،
ولا نتحدث .. إلا بعض الكلماتْ !

وأقود ..
وأنظر فى مرآة السيارة ،
ألمح وجهك ..
ها هو مثل نساء الأمس ..
بلا ضحكات !!

# التليفون

كنا في الزمن الماضي ..
نقضي أحلى لحظات العمرِ ،
ونحن نسطّر للأحباب خطاب مودّةْ
نخبرهم عن أشواق القلب العطشانْ
ونحّدثهم عما لاقينا ..
من أحداث مؤسفةٍ ،
ومواقفَ مضحكةٍ ،
نتخيلهم ..
يتلقّوْن رسائلنا بالأحضانْ

كنّا نكتب أحياناً مالا ننطقهُ ..
أو تعثر فيه الشفتانْ !
نمتاح من الأعماق خبایاها ..
ونسجّل أصفى حالات الوجدانْ !

ولكى نعطى ما نكتبه بعض الإيحاءاتْ
كنّا نتفنّن فى وضع خطوطٍ ،
وعلامات
كنا نكثر من عدد الصفحات ،
ونرجوهم .. ألا يختصروا !

واليوم إذا هزتنا الذكرى
واشتد الشوق إليهم
حدثناهم تلفونياً ..
بعضُ الكلمات عن الصحةْ
بعض الكلمات عن الأولاد ،
وندخل فى ( الموضوع ) مباشرة ،
ننهيه على عجلٍ ،
حتى لا يحتسب ( العدّادُ ) .. مكالمةً أخرى !

— ٢ —

هذا الجرس الداوى فى أركان البيتْ
قد أصبح يكسر أوقات سعادتنا ..
ينزعنا من لحظات الصفو ،
ويحرمنا أحياناً ..
من أغلى الأحلامْ !

جرس التليفونْ !
نعدو .. نلتقط ( السمّاعةْ )
ليس المتحدث مَنْ نتوقّعْ !

••

جرس التليفون !
نعدو .. نلتقط ( السماعةْ )
جارتنا تتلمس بعض الأخبار ،
لتنقلها لامرأةٍ أخرى !

جرس التليفونْ !
أحدٌ يلهو بمعاكسة صبيانيّةْ
••
جرس التليفون !
أحدٌ يستفسر عن ..
مستشفى الأمراض العقليةْ !

.

.

جرس التليفون !
نظلّ بموضعنا ..
نقسم ألا نتحرك ،
نتركه يعوى ، ويرنّ ،
وحين يكفّ عن الصرخاتْ
نتبادل بعض النظراتْ !

.

.

# المطار

كنّا .. إذا أتى القطار بالأحبابْ
نصطفّ عند البابْ
أحضاننا تضمّهم ..
تحملهم أهدابْ !

وحينما يودّعوننا
ولا يكون غيرُ أن نحتمل الفراقْ
تحوطهم عيوننا لآخر الرصيفْ
منديلنا المبتلّ بالدموعْ
يعلو مندّياً لهم سخونة الهواءْ
مرفرفاً على رؤوسهم ..
لآخرى المدى !

وفى طريق العودة المنفردةْ
كنّا نحدّث الحقول عن حنينا لهمْ
ونسأل الطيور ..
أن تبثّ شوقنا لهم ..

••

وفى ليالى الوحدة المفتقدةْ
كنّا نناشد النجوم ،
نشتكى إلى القمرْ
لعله عن وجدنا .. يخبرهمْ !

واليوم فى المطار
حيث ممرّ الأمن ، والحواجزْ
تبعدنا عن احتضانهم
لا نستطيع أن نقول ما نريده لهم
نلمحهم يهرولون
منشغلين بالحقائب
منهمكين فى الأختامْ
وفجأةً يلوْحون
ويختفون .. دونما كلام !

- ٢ -

في صالة المطارْ
يرتجف الفؤاد رهبةً وبردا
وعادةً يطول الانتظارْ
ولا يفيد الشاى ،
والحلوى ،
ولا الجرائد المختلفةْ !

أراقب اللوحة فى انكسارْ
الطائرات مُسرعةْ
قادمةً .. ومُقلعةْ
وأسأل المضيفة التى بلون الثلج
– متى تجىء الطائرة ؟
فتنحنِى على جهازها الصغير
قائلة :
– تأخيرْ !

ألمحهم ..
من صالة الوصول يعبرونْ
لصالة الجمرك يدلفونْ
يرونني ..
أقسم أنهم محطّمونْ !

••

وعندما أصحبهم لخارج المطارْ
يكون ضوء الفجر قد أطلّ ،
والمؤذن الوديع يوقظ السكونْ ..
وهم من الإرهاق .. نائمون !

# السينما



انفتح الستار ،
وابتدت مشاهد ( المغامرةْ )
صاخبة ، وآسرةْ
ونحن فى الظلام جالسونْ
يلفّنا السكونْ
يبهرنا الأبطالُ تارةً ،
وتارة يُبكونْ !

أىّ جدارٍ ناطقٍ ..
هذا الذى يموج بالحياةْ ؟!
يطرحنا لعالمٍ مختلفٍ .. بعيدْ
لكنّه مقرّبٌ لنا ..
لأنه يحكى عن الحزين ، والسعيدْ
الملتوى ، وصاحب المبدأ ، والعربيدْ
يجعلنا نعيش لحظةً .. بلا حدودْ
نمارس الحب .. ونكسر القيودْ !

حين خرجتُ للطريق ..
لم أكدْ أرى ..
كان شعاع الشمس قاسياً ..
كأنه الحقيقةْ !
ينزعني من خَدَر الخيال ، والمغامرةْ
يقذف بي على الرصيف ،
مثقلاً بخيبة المقامرةْ !

عند اشارة المرور .. أُصطدمْ
بعابرٍ ينهرنى :
– أأنت أعمى ؟!
لا أستطيع المعذرةْ
••
تسقط من كفّى بقايا التذكرةْ !

# الأسانسير



حول الباب تجمّعنا ..
ها هو فى الخامس ،
ينزل للرابع ، فالثالث ..
أحشر نفسى كى أصعد معها
تدرك أنّى أتقرّب منها
لا تبدى ضجراً ..

ينغلق الباب ،
ندوس الزّر ، فلا يصعدْ
تتهاوى كلمات غاضبةٌ ،
يعلو صوت عجوز مكتومْ :
– لابد لأحدٍ أن يخرجَ
أنظرُ فى السقف ،
أُقطّب حتى لا أبدو مبتسما
( أعرف من تجربتى فى هذا الموقف ،
أن المبتسم .. هو المهزومْ )

يغمرنى سحرُ ( الماكياج )
وتمويجُ الشعر ،
ورائحةُ ( البارفان )
أجاهدُ أن تتلاقى أعيننا
لكنْ عبثا ..
يأتى الدور الخامسُ ، تخرجُ
تاركةً ما لا يُنسَى ..
خَفَرٌ حلوٌ ،
وقوام غجرى ملفوف !

فى العودة ،
أسأل بوّاب عمارتها
عمّن يسكن فى الدور الخامس
– لا يسكن أحدٌ
أمنحه السيجارة ،
يسعل ، ويحوقل ،
أبدو مهتمّا ..
ينظر فى ناحية أخرى ، ويقول :
– شققٌ مفروشة !

# السوبر ماركت



كانت زوجة ( إبراهيم البقّال )
امرأة مُصبَحةَ الوجهِ ،
ومفرطةً فى السمنةْ
لكنّى لم أعرفها إلا طيبة القلب ،
عطوفاً جداً
كانت تعرف أطفال الشارع فرداً .. فرداً
وتنادينا أحياناً ، فتلاطفنا ..
تسألنا عن أخبار الأهل ،
وتعطينا الحلوى .

فى بعض الأحيان
كانت تتركنا فى الدكّان ،
لنحرسه ، ونراعيهْ
كنّا نتبارى أن نرضيها ،
فنبيع لأنفسنا بعض بضائعهِ ،
حتى نعطيها الأثمانْ
كنّا نشعر حين نراها مبتسمةْ
أن الكون أمانْ !

ذات مساءٍ ..
أغلقت الدكان ، وكانت تبكي
دمعٌ صافٍ ، ونشيجٌ عاتٍ متكتّمْ
لم نجرؤ أن نستوقفها ..
كنّا أصغر من أن نسأل سيدةً ،
عن سرّ بكاها ..
لكنّا كنّا نتألّمْ !!

فى المنزل ..
قالت أمى :
– طلّقها الملعون ،
وقالت أختى :
– زوجته الأخرى أرفعْ !
انفجروا ضحكا
لم أتمالك نفسى ، فصرختُ بهم
– قسماً هى أروعْ
سكتوا ..
حين التفتوا نحوى ..
وجدونى أبكى !

مضت الأعوام ..
وحين رجعت لشارعنا
أدهشنى أن أجد الدكّان
فى موضعه .. نفس الدكان
لكنّ اللافتة امتلأت بالعنوانْ
« إبراهيمكو .. سوبر ماركتْ »

••

ونظرت بداخله ،
فإذا امرأة فى منتصف العمر تدخّنُ ،
والجدرانْ
قد زادت بعض الألوانْ !

# الفيديو

تصرخ الوحدة فى صمت الليالى الباردةْ
علّها تُسمع قلباً
يمسح الجرح ، ويأسو ألم الروح ،
وحرمان الحياة الجاحدةْ
عبثاً .. لا تفعل الصرخة إلا أنها تعبر الليل ،
وتنداح بعيداً .. فى الأفقْ
ومع الوحشة .. يمتدُ الأرقْ !

أىّ فيلمٍ أتخيّرْ ؟!
مرحاً أو عاطفياً ..
قصةً تؤنس روحى ،
أو تشدّ الأوردة ؟!

••

هكذا أملأ كأسى بيدى ،
ثم أُغنىّ ..
وأنا وحدى أصفّقْ
متعةٌ منفردةْ !

بَعُد العالم عنى ..
لم يعد فى غرفتى .. غير الظلال الشاردةْ
تارةً تقرب منّى ،
فترج الجسد الهامد رجّاً ،
وتهزّ الأعمدة !

تارةً .. تقسو على ضعفى ،
فتنأى مُبْعدة !
لم لا أمسكها هاربةً ..
أضغط الزرّ ، فتبقى جامدةْ
ها هى الآن أمامى ..
لحظةٌ منعقدة !!

يعبر الليل ، فلا أدرى بهِ ،
يُقبل الصبح ، فلا يفجأنى ..
ها أنا فى وحدتى منكفىء ،
أتسلّى باحتراق ، والستائرْ
تحجبُ العالم عنى ،
ونفاياتُ السجائرْ
تتهاوى .. فى رماد المدفأةْ !

# الكافتيريا



كان ( الحاج على )
صاحبُ ( مقهى الأزهار )
على ناصية الحلميةْ
يتلقّانا كل مساء بالترحاب ،
ويجلس أحياناً معنا ..
يتحدث عن أيام فتوته الرائعة ،
ويحكى عن زيجته السابعة ،
ويُدهشه .. أنّا لم نتزوجْ حتى الآنْ !

وصبى المقهى ( شعبانْ )
كان فتىً .. يمتلىء نشاطاً ومروءةْ
يحفظ ما يطلبه كلٌّ منا ..
حتى المذياعْ
يُسمعنا ما نرغب فيه ،
ويغلقه إن أصبح ممجوج الألحانْ !

كان المقهى واحتنا
فى صيف اليوم القائظ ،
مَسْلانا من ضجر العمل المكرورْ !
كان المدفأة بأيام البرد المرتعشةْ
نتجمّع فيه .. نتحدث ، نحلُم ،
نحزن أو نفرح ،
نفترق لديه .. على موعدنا ،
فى اليوم التالى !

مات ( الحاج على )
باعت زوجته المقهى ،
عادت للريف ، وقالوا : اصطحبت شعبانْ !

••

صار المقهى كافتيريا
يُسمع فيه ( خوليو ) .. ( داليدا ) ..
( مايكل جاكسون )
ويجىء إليه فتيانٌ أصغر سنا
تدخله فتيات يجلسن ،
ويأكلن ( البيتزا )
ويقهقهن مع الفتيان !

قال صديق :
– لم لا نذهب مثل الناس ؟
دخلنا ..
كان دخان سجائرهم مختلطاً بالتكييف ،
وكل اثنين بركنٍ منفردٍ ،
جاء ( الجرسون ) ،
طلبنا شاياً .. لم يبدُ سعيداً ،
لم نقدرْ أن نطلب منه تهدئة الموسيقى ،
أطرقنا ..

مرّ الوقت ..

بطيئاً ، وثقيلاً ، ومليئاً بالضوضاءْ

أحسسنا أنّا غرباءْ

نهضنا ..

قال صديقٌ :

– هيّا ندهب ناحية النيل

وقال الآخر :

– بل ناحية الصحراءْ !

# الكمبيوتر



وضعتُ في البنك مالى وسجّلوا توقيعى
وبعد شهرين .. أهوى علىّ جدبُ الصقيعِ

••

فقلتُ أسحب شيئاً يبثّ دفء الشتاءِ
كتبتُ شيكا أنيقاً أودعته إمضائى

ولم أكــــدْ أتملّـــــى بمنظـــر البنكنـــــوتِ
حتـى تبـدّى الموظـف بوجهـــه العنكبـــوتى
يقول : عفواً ،
ويأسفْ !
سألتُ . ماذا بربكْ
أجابنى فى تعالٍ
– الاسم غيرُ مطابق

أشرت : هذا محرّفْ
والميمُ قبل الدالِ
وأنني .. أنا هذا
فقال : عفواً ، أتقصدْ :
الكمبيوتر يُخطىءْ !

رفعتُ فى البنك صوتى وجلجلت صرخـــاتى
توقـف الصّرّفُ حالاً وجـال بعض السُّعـاةِ

••

وفجـــأةً لاح شخصٌ مهـــــــــذّبٌ، مخدومُ
يسعـى فيمتـــدّ صفٌّ يُغضى، فيسرى الوجومُ !

هنّأتُ نفسى بنصرٍ وقلت : هذا نصيرى
بشتـــهُ ما أعـــانى من شدة التقـــتير !
وقلت : اسمى تغيّرْ !
فقال : حتما سننظرْ
فى الاجتماع الكبيرِ
قضية التغييـرِ !

وعندما رحت أهمس :
الكمبيوتر أخطأْ
تورّمت شفتاهُ
وقال : لا ..
لا تقلْها !
الكمبيوتر يضبطْ .

خرجت فى البرد أمشى والمال فى البنك مالى
وبـــينا أتـــــردّى فى رعشتى ، وسعالى

••

استوقفتنـــــى الإشارةْ وأبطـــأت ســيارةْ
وامتـد صوت غليـظٌ يشير نحوى ، ويَهــزأْ
– هذا الذى يتصوّرْ
الكمبيوتر يُخطىءْ !!



# وردة البلاستيك



فى البدءْ ..
خلق الله الكون مفيداً للإنسانْ
ولكى يبدو أجمل
خلق الأطيار لتصدح فيه ،
وخلق الأزهار ،
تبثّ العطر بكل حواشيه ،
وتطبع فوق خطوط اللوحة ..
أزهى الألوانْ !

الوردة مخلوق حسّاسْ
قد تتكلم أحياناً
وتغنى أحياناً
ولقد تبكى فى أحيانٍ أخرى

وكما المرأةْ
يحييها الإعجابُ ، فتخجلُ ،
تحّمر ، وتبهرُ
أو ..
يطرحها الإهمالُ ،
فتذوى فى حزن مكبوتْ

تزدان الوردة أحياناً ،
فتبوح بكل مفاتنها ،
وتطأطىء حينا ،
فيجفّ بهاء نضارتها ،
تسّاقط أوراق صباها ،
تذبل ، وتموتْ !

الوردة تحتاج لمن يعشقها
عشق الوردة رحلةْ
سَفَرٌ يحدوه الوجد ،
وتدفعه الأشواقْ
دوران حول المحبوب ،
عيون تشربه ، وتناجيه ،
فناءٌ فيه !

في بيتي ..
أحضرت صنوف الورد المصنوعة في اتقانْ
رتّبتُ الأحمر ، والأصفر ، والأبيض ..
نسّقت الفاقع والوسنانْ
يحسبها الزائر من دقتها
قد قُطفت في نفس اليوم ..
من البستان !

لكنى حين أشاهدها ..
وأنا فى ساعات الوحدة والحرمانْ
أشعر أنّى فى مستشفى ..
يغرق فى صمت التعقيم ،
ويفتقد الألوانْ !

## المحتــوى

رقم الايداع ٥٥٩٠ / ٨٩

مطبعة العمرانية للأوفست
٤٨ ش زهران . العمرانية الغربية . جيزة
ت : ٥٣٧٥٥٠